لا بد من القول ان في هذا المركز الذي يستقطب جميع الدعـــارات اعني المدينة ، هنالك الكثير من المال وورشات لانهائية . امتزج الاسمنت مع الارض ، وشيئا فشيئا حنق معظم الاشجار . المدينة تبدو من كل نافذه مثل لعبة ضخمة هائلة من المكعبات بالوانها التي تلتهمها الشمس . يجب ان نستيقظ باكرا جدا حتى نرى المشهد ينجلـي بالنور الصاعد من وراء جبل صنين : آنذاك تشكل كل هذه الاحجام بالوانها الشاحبة الرقيقة التي لا يتدخل في ايقاعها أي شكل خارجي ، شجرة كان او فضاء ، تشكـل لعبة عملاقه من الابنية ، تمنحني في كـل مرة شعورا بالرهبة قريبـا من الصوفية ، وشبيها بما احسست به مرة عند المغيب في قرية « تاوس » احدى قرى الهنود الحمر في اميركا .

مع ذلك بعد ساعة تهبط على هذه المدينة قتامة شريرة ، وتتضح التناقضات في هذه المدينه التي ليست بصناعية ولا تجارية . بيوت فخمة بالقرب من اكواخ قذرة ، وبيوت متعددة تنبت كاقفاص من الاسمنت وتركب بعضها بصبر .

في نفس الشارع حيث اسكن ورشات كبيرة لا تنتهي الواحدة منها بسنتين . هناك ورشات اخرى في الحي الذي تقطنه اغلبية مسيحية في هذه المدينة ، حيث ما تـزال غريزة الغيتو تطبع الشرق الاوسط بطابعها القوي . يمكننا القول ان بيروت يفصلها خط من الشمال الى الجنوب ، الى الغرب الاحياء الاسلامية ، والى الشرق الاحيـاء المسيحية . وهنا وهنالك ، خاصة على حافة البحر ارض حيادية مخصصة للسياحة والدعارة .

اثرثر في الورشات مع العمال السوريين وحيث ارسلني موريس . انهم شبـاب ، عمال يدويون ، عمال اسمنت ، معظمهم من الموسميين . كما في كل الاماكن ، انهـم يشكلون يدا عاملة رخيصة بالنسبة للبلد ، وان كانت الاجور التي تدفـع لها تعتبر ممتازة بالنسبة لما تتقاضاه في بلدها . المتعهد لبناني ومتوحش . انه يخاطبهم ، وكأنهم اقل من بشر ، او دواب لا تمشي على اربع قوائم بل على اثنتين نظرا لضيق السلالم . أما المتعهد فغاية في التأنق ، ولا يتخلى عن عقدة الرقبة ابدا . يصل في سيـارة فخمة وجميلة جدا ، وفاحشة الضخامة من الخلف . انها سيارة بويك او شفروليه . العمال صغار القامة ، سريعو الحركة ، عضلاتهم مفتولة ، وكلهم حياء وكتمان وصمت .

أريدهم أن يتكلموا . يرفضون . كل شيء في نظرهم على مـا يرام . عند الظهر يأكلون على الارض ، والاسمنت يختلط دائما بطعامهم . في المساء ينامون في الطابق حيث يعملون . على الارض . لا يوجد مرحاض ابدا في هذه الورشات . ابدا . كل شيء يتم على الارض ايضا . وهكذا ليس هناك ورشـــة بدون روائح قذرة . عندما تمطر ، صيفا أو شتاء ، تبقى الامور على حالها . يبقون مسمرين في أماكنهم في الهواء والرطوبة ، بانتظار النهاية . بعد تركيب المصعد مباشرة يعطل ، ويبقى مفتاحه مع المتعهدين او الملاك أو الزبائن . حين يتوجب رفع الحجرة الى الطابق العاشر ، يجب رفعها على الاقدام . هكذا .

أحدثهم عن قريتهم . يقولون انها بعيدة ، هنالك . بيروت ، هذا عظيم . كيف كانت ردة فعلهم حيال هذه المدينة . يقولون : الله يحميها . هل هم مشتاقون الى اسرهم ؟ يأتي الجواب ، لا أدري ، او كلا . ارسل لهم مالا . هل تحبون اللبنانيين ؟ طبعا ، هذا جوابهم . انهم اخواننا ، ولكنهم اكثر تطورا منا . لديهم سيارات كبيرة ، وبيوت جميلة .

عندما أقول لموريس انه لا يمكن ان نستنتج من هذا كله الا الدوائر الزرق حول العيون ، والظهر المحدودب ، والحزن ، وصوت آلات طحـن الاسمنت الجهنمي ،